تاريخ الكوت وحصارها

الباحث مثنى حسن مهدي

واسط/ العراق

تسمية الكوت

الكوت في لغةِ اسفلِ العراقِ وما داناهُ من بلادِ العربِ والعجم ما يُبنى لجماعةٍ من الفلاحين ليكونَ مأوى لهم ومسكناً، وقد يبنى وحده او يُبنى حوله مجموعة من الاكواخ من الطين او القصب. ولا يطلق هذا الاسمُ إلّا اذا كان البناءُ على حافةِ نهر كبير او على ساحلِ بحر واقربُ ما يكونُ لتعريفهِ الميناءُ او مخزن الذخيرة التجارية. وذكر الاستاذُ محمد حسنين هيكل غي كتابه حربُ الخليج (ص٦٤) قوله ((الكوت تعني الحصنُ او المراقبه او الدفاع)) ، فيما يرى الشيخ علي الشرقي في مقاله المنشور في جريدة البلاد البغدادية العدد (١٢٥) بتاريخ (١٧/نيسان/١٩٣٠) قوله ((الكوت لفظةٌ قد تكونُ فارسيةُ الاصل مشتقةٌ من الكوه اي القرية الزراعية ... او انها لفظةٌ كلدانيةٌ مثل لفظة كربلاء وغيرها)).

فيما يذكر الاستاذ عباس العزاوي في كتابه ((تاريخ علم الفلك في العراق)) (ص٣٤٦) قوله: ((الكوت كلمة هندية مثل قالقوت اي القلعه وتسمى الان كالكوت)). وكلمة الكوت منتشرة في القسم الجنوبي من العراق والاحواز والاحساء وامارات الخليج وعُرفت في هذهِ البلادِ عدةُ مواضع باسمِ الكوت منها كوت الزين ... وكوت خليفة ... وكوت جار الله .. وكوت العصيمي .. وكوت المعمر .. . وقد ورد اسم الكوت في عدة كتب قديمة منها العربي والفارسي والتركي والانكليزي والفرنسي والايطالي. لقد شاع اسم الكوت وذاع ولمع اسمها وتداولتها وكالات الانباء العالمية واتجهت الابصار في جميع انحاء العالم نحوها فبحث عنها على الخريطة ولاعجب في ذلك فقد حوصرت فيها قوات بريطانيا العظمى وعجزت كل المحاولات لفك الحصار عن (طاونزند) وقواته واصبحت الكوت وحتى يومنا يدرس حصارها في كافة الاكاديميات العسكرية في العالم لانه اطول حصار حدث في الحرب العالمية الاولى، حيث سلمت القوات البريطانية المحاصرة الى القوات التركية دون قيد او شرط.

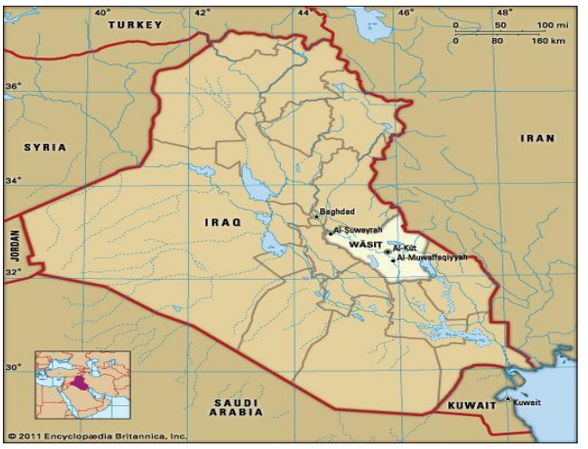

انشاء مدينة الكوت

كان للضرورة حكم في انشاء مدينة الكوت حيث ان موقعها قريب من منتصف المسافة بين البصرةِ وبغداد وتقعُ عندَ تفرعِ نهر الغراف من دجلة، فكانت السفن النهرية المتنقلة بين هاتين المدينتين ترسو في الكوت لتفرغ حمولتها في سفن صغيرة تسير في نهر الغراف الى الحي والمدن التي تقع جنوبها وكان كثير من ركاب هذه السفن المتوجهين من البصرة الى بغداد يغادرون سفنهم عندما يصلون الكوت فياخذون عوضها الدواب لتوصلهم بطريق البر الى بغداد فيصلون في مدة ثلاثة ايام الى المدائن.

ان الكوت انشأت اساساً كميناء نهري وحركة الملاحة قائمة منذ زمن بعيد اضافة لحاجة الدولة العثمانية المحتلة لحركة قواتها. وقد ذكر المؤرخ الاستاذ (عبد الرزاق الحسني) قوله ((انشأت الكوت عام ١٨١٢م بطلب من الحكومة العثمانية)) ثم جعلت منها مركزاً لادارة شؤون تلك المناطق لموقعها وقربها حيث كانت بدرة كثيراً ما تتعرض لغزوات الايرانيين لقربها من الحدود وحاجة الحكومة العثمانية لان تجعل من الكوت مركزاً قريباً من العشائر لملاحظة تحركاتهم فانشأت عندئذ مركزاً لادارة المنطقة ومرجعاً رسمياً قريباً من ولايتي بغداد والبصرة. وقد جاء في سالنامة الاستانة – وهي الجريدة الرسمية – مثل الوقائع العراقية ان الحكومة قررت ان تجعل الكوت قائمقامية عام ١٨٥٩م وان (محمد باشا) كان محافظاً للواء بدرة وجصان، حيث كانت الكوت قضاء تابعاً الى بدرة، حيث قام الوالي (تقي الدين باشا) بجولات تفقدية في انحاء قضاء الكوت وتوقف على احوال عشائرها.

لقد كانت الكوت قرية ثم اصبحت من مواضع التجارة النهرية المهمة بعد ان حصلت شركة لنج على امتياز تسيير البواخر بين بغداد والبصرة عام ١٨٦٩م فتكاثر عدد سكانها وعظمت اهمية الكوت وصا لها ذكر في التجارة.

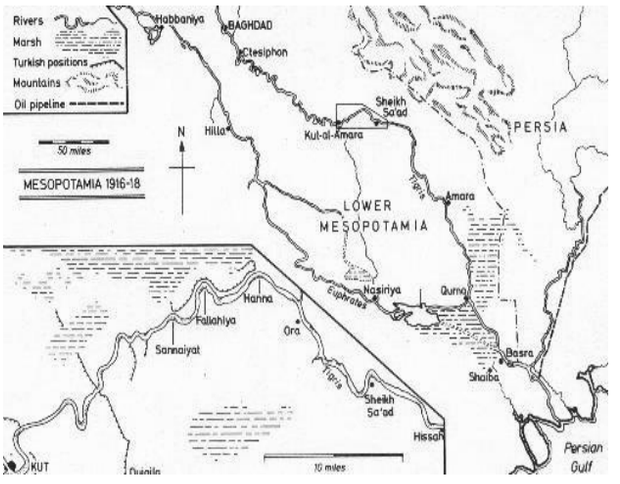

هل الكوت : كوت سبع أم كوت العمارة أم كوت الامارة ؟

كوت سبع :

ذكر الاستاذ (عبد الرزاق الحسني) في كتابه (موجز تاريخ البلدان العراقية ، ص١٨٢) عن الكوت قوله ((قد بحثنا كثيراً عن تاريخ انشاء هذه البلدة فروى لنا الطاعنون في السن ان اول من اقام البيوت فيها رجل من مياح بطن من ربيعة يدعى سبع بن خميس، رئيس تلك الاطراف وذلك في عام ١٨١٢م فنسبت اليه ودعيت بكوت سبع)). اما رأي المحامي (جمال بابان) في كتابه (اصول اسماء المدن) فيقول : ((ان اول رجل شيد قلعةً من الآجر في الكوت هو الشيخ سبع بي خميس. اما الدكتور (عادل البكري) في كتابه (تاريخ الكوت، ص٨١) فيذكر ((كانت عائلة سبع من اقدم العوائل التي سكنت الكوت)).

وكتب الرحاله الانكليزي (جيمس بوند) عام ١٨٣٠م اثناء زيارته للكوت : ((انتهزتُ دعوة الشيخ سبع فامضيت اياماً قليلة مع قبيلته وقد تمتعنا بالصيد واعب الجريد)). وذكر الاستاذ (كاظم الدجيلي) في مجلة (المقتطف) قوله : كان سكان الكوت عشيرة بيت شاوي يسكنون في بيوت الشعر. وفي سنة ١٨٣٦م غزا علي رضا لاز باشا والي بغداد المحمرة ومر في طريقه على موقع الكوت وكان رئيس اهل الكوت بزون آل شاوي فخصص الوالي جرايات سنوية وهي كمية من الحنطة والشعير وان ياخذ مبالغ من المال عن كل سفينة تمر بالكوت.

كوت العمارة :

لان دجلة المنسلة من شمال هذا الموضع اي من النعمانية حتى القرنةِ كانت ولاتزال تدعى شط العمارة. وذكر (فريزر) في كتابه (بين النهرين وآشور) قوله : بعد ان يجري دجلة بين خرائب طيسفون وسلوقيه يتدفق في ارضٍ غرينية وهناك على طول النهر مضاربُ واكواخُ العربِ وعدة قرى كبيرة واعظمها كوت العمارة. وذكر الرحالة (بريج) في كتابه المطبوع عام ١٨١٨م ((ويسمى الاعراب نهر دجلة من الكوت الى القرنةِ نهر العمارة)). وقد تكون تسميته لتميزه عن غيره من الاكوات وورد في سالنامه الاستانه لسنة ١٨٥٩م اسم لواء بدرة وانه من اقضيته كوت العمارة. وجاء في جريدة الزوراء الرسمية في بغداد بالعدد (٤٧) بتاريخ (٥/مايس/١٨٨٦م) حيث جاء فيها كوت العمارة.

وفي كتاب السيد (عبد الرزاق الحسني) (قديماً وحديثاً ، ص١٢٧) ((وانما قيل لها كوت العمارة لوقوعها على هذا الشط – شط العمارة.

ان تسمية الكوت بكوت العمارة ليست لها اية علاقة بمدينة العمارة الحالية لانها اسست حديثاً بعد الكوت بفترة طويلة، واما سبب تسمية دجلة بالعمارة فهو نسبة الى تسمية قديمة ترجع الى العهد العباسي نسبة الى (عمارة بن الوليد) عامل المنصور الذي اطلق اسمه على هذا الجزء من النهر كما يقول (د.عادل البكري) في كتابه (تاريخ الكوت).

كوت الامارة :

رأي الاستاذ (كاظم الدجيلي) المنشور في مجلة (المقتطف) العدد (٥٠) لسنة ١٩١٧م ((الامارة جمع امير، وهم رؤساء عشائر ربيعة ، انما نسبت اليهم الكوت لانها اول من سكنه واسسه)). وان اول تغيير في الاسم ورد في سالنامة بغداد لسنة ١٨٨١م ، حيث يذكر باسم كوتِ الامارة ويقال ان الذي اطلق هذا الاسم هو القائمقام (فتح الله) في عهد الوالي (عاكف باشا) عام ١٨٧٥م. وقال الدجيلي ((ان لفظ عمارة قريبة جداً من لفظ امارة هذا من جهة ومن جهة اخرى فان حرف العين لايوجد في اللغات الاجنبية، فاذا كتبوا عمارة لايكتب العين بغير حرف الـA فتكون العمارة أمارة. وهذا ما جاء في رحلة (دانفيل) في كتابه (الفرات ودجلة) وكذلك في رحلة (بولاي لوكوز) ورحلة الفرنسي (نافرييه) والاب (جوزيه الكرملي) و (روسو) في كتابه (صفة باشوية العراق)، و(بوشتك) في كتابه (الجغرافية). كل هؤلاء صوروا لفظة العمارة بحرف الـA فتكون امارة ، وهناك سبب آخر لتسمية كوت العمارة بالامارة وهو ان الامارة نزلوا في شمال الكوت وتواطنوا على ضفتي دجلة الى صدر الغراف المقابل للكوت في الجانب الشرقي والغربي الى عدة كيلومترات.

وصف مدينة الكوت :

كتب (رسل برادون) في كتابه (حصار الكوت ، ج١ ، ص١٧٩) ((كانت المدينة مكونة من سوق وكومة من بيوت الطين ومتاهة من ازقة ضيقة وجامع، حيث السوق اكثر اقتراباً الى النهر وفي خلف المدينة الذي يطل على النهر من الشرق بساتين النخيل واشجار الحمضيات مع وجود بعض وعامل الطابوق بينما تقع مقابل السوق وعلى الجانب المقابل من نهر دجلة قرية صغيرة ومعمل عرق السوس.

اما العالم الآثاري البريطاني والذي زار الكوت (ويلس برج) وهو من اشهر الرحالة فقد تجول في المدينة وقال عنها ((انها بلدة صغيرة كثيرة المساجد وفيها سوق صغير ورأيت في احد دكاكينها نماذج من المصوغات الفضية الجميلة التي يصنعها من يسمون نصارى القديس يوحنا)). وقد وصف المقيم البريطاني مدينة الكوت في رحلته عام ١٨٢٧م قائلاً ((قدمت الكوت وهي قرية مؤلفة من

مجموعة اكواخ مبنية من القصب يحيط بها سور من طين ارتفاعه (٦) اقدام وقال احد الرحالة الذين زاروا الكوت : ((كانت البلدة تتكون من الدور التي تفصل بينها ازقة وشوارع ضيقة ملتوية ويقع في شمالها السراي المواجه للنهر وفي شرقيه جامع كبير ثم يليه الاسواق وكانت في البلدة جامع كبير آخر مما يلي منطقة الاسواق وحمام مطل على النهر وسوق مسقوف يسمى سوق الباشا نسبة الى (محمد باشا الداغستاني).

وقال الرحالة (مكنن) في رحلته من البصرة الى بغداد ((وبازاء القرية (اي الكوت) جدول اسمه شط الحي ومن هنا الى فوهة نهر يسمى نهر العمارة)). فيما قال الاستاذ (عبد الرزاق الحسني) : ((كانت الكوت قرية ثم اصبحت من مواضع التجارة النهرية المهمة وتكاثر عدد سكانها وعظمت اهميتها وهي قبالة فم الغراف الذي يصل دجلة بالغراف ، تحيط بها المياه من ثلاثة اطرافها وفيها جامعان وسوق مستطيلة واسواق اخرى متداخلة، كما ان فيها جادة مستقيمة تحاد النهر واهاليها الى جانب كبير من الوداعة وتقابل قصبة الكوت على ضفة النهر اليمنى قرية جسيمة يقال لهذه القرية (صوب المكينة) والمقصود بها الفيصلية العزة حالياً.

حصار الكوت

المعلومات التي سوف اتحدث بها عن حصار الكوت مستمدة من كتابي (عالمية مدينة الكوت قصة الحصار) وكنت اعمل على جمع معلومات تفصيلية لكي تكون نتائج هذا البحث اقرب الى الدقة والصواب. لقد توخيت الدقة في ايراد هذه المعلومات وان جميع ما ورد عن حصار الكوت قد استقيتها عمن يوثق بقوة ذاكرتهم وصدق احاديثهم اضافة الى العديد من المصادر التاريخية والعسكرية وسوف استعرض واتابع مسيرة الحملة البريطانية من الهند الى البحرين ثم البصرة مروراً بالقرنة والعمارة متوقفاً عند معارك السن في الكوت متقصياً مسيرة طاونزند خلف قوات نور الدين الذي ترك الكوت متوجهاً بقواته الى المدائن ناقلاً صورة الاشتباكات الضارمة التي حدثت في سلمان باك والخسائر

الكبيرة التي منيت بها القوات البريطانية حيث اجاب قائد طائرة الاستكشاف العائدة من المدائن الى الكوت عن الاسئلة التي وجهت اليه قائلاً : انا لا اعرف إلّا انني اعتقد بان كل شيء قد انتهى، لقد تلقينا لكمة ثقيلة ... وعندها عاد طاونزند بقواته المتبقية من المدائن الى .. اللج فالزور فالقطنية فالعزيزية واخيراً الى الكوت ... وهكذا اصطدمت احلام طاونزند بالحقيقة فاصابه وجيشه الدمار وذاق لذة الانتصار السهل وتجرع مرارة الهزيمة ودخل الى الكوت يلعق جراحه وهزيمته جديدة من نوع آخر. بعد ١٤٣ يوماً من الحصار تنتظرة.

كان طاونزند ينظر الى اهل الكوت نظرة شك واحتقار وكان اهل الكوت ينظرون اليه ايضاً نظرة حقد وازدراء ولم يرُق لهم ذلك الرجل مطلقاً كما لم يرُق لهم منظر ضباطه وجنوده وكانوا يبدون في عيون الاهالي قذرين بالرغم من ملابسهم النظيفة التي كانوا يرتدونها.

لقد سطا الانكليز الغزاة على كل ما ادخره اهل المدينة من اطعمة فتركوهم يتضورون جوعاً طيلة ايام الحصار، بل ان الكثير من اهل المدينة ولاسيما الاطفال والمرضى ماتوا من الجوع.

لقد كان اهل الكوت ضحية حصارين. حصار الاتراك للمدينة وحصار الانكليز للاهالي، وسنتحدث عن ماعاناه اهل البلد في فترة الحصار حتى تسليم طانزند المدينة الى التراك دون اي قيد او شرط وهو الذي قال ساقاتل من بيت الى بيت واجعل من الكوت بلاونا ثانية .

الكوت هو الاسم الذي اذل طاونزند وقهره، وهذه البلدة الصغيرة التي لمع اسمها وتداولتها وكالات الانباء العالمية واتجهت اليه الانظار في جميع انحاء العالم تبحث عنها على الخارطة ، ولاعجب في ذلك فقد كان الحصار حدثاً تاريخياً هاماً لا يوازيه إلا حصار بلادنا.

يعتبر حصار الكوت اكبر فاجعة مذلة وقعت لأية حملة بريطانيا وكتب لهذا الحصار ان يبقى بصبغته اكبر هزيمة شدتها بريطانيا بعد حصار دام ١٤٧ يوماً اضطر فيه ١٣ الف عسكري بريطاني وهندي الاستسلام للقوات التركية دون قيد او شرط ولم يقف الامر عند هذا الحد فمن بين ١٣ الف أسير حرب الذين استسلموا في الكوت لقي ٧ آلاف اسير منهم حتفه فيما قتل ٢٣ الف آخرون في محاولات فاشلة كان الهدف منها فل الحصار عن القوات البريطانية.

عندما اعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية حذت حذوها كل من بريطانيا وفرنسا وتذرع الانكليز بحماية حقول النفط الايرانية وكما تذرعوا بحماية اصدقائهم امراء الكويت ونجد. كما استعدوا ايضاً للاستيلاء على المنطقة من ايران الى البحر الابيض والبحر الاحمر وصولاً الى مصر لغرض السيطرة البحرية وتامين الطريق البري والبحري من بلادهم الى الهند. وكانوا قد عزموا على احتلال العراق الذي اكتشف فيه نفط كركوك عام ١٨٩٥م ، لذلك كله قررت الحكومة البريطانية تكليف حكومة

الهند بتنفيذ الحملة على العراق فخصصت حكومة الهند لواء المشاة (١٦) من الفرقة السادسة لاحتلال مصب شط العرب وسميت هذه القوة بالقوة (د) نسبة الى آمر اللواء العميد ديلامين.

ابحرت القوه من ميناء بومباي الى البحرين ثم تقدمت من البحرين الى مصب شط العرب وفي صباح يوم (٦/تشرين الثاني/١٩١٤م) استولت القوة على حصن الفاو دون مقاومة فحطمت المدافع الاربعة والقت بها في شط العرب وانزلت قوة صغيرة في موقع السنية وقطعت سلك الهاتف الممتد بين البصرة والفاو فنقطع الاتصال الهاتفي بين القيادة العثمانية وحامية الفاو. شرعت القوات الانليزية بالنزول واكملت انزالها، فعلمت القيادة العثمانية بالاحتلال الانكليزي لموقع الفاو في وقت متاخر بسبب انقطاع اسلاك الهاتف ورداءة المواصلات.

امر قائد الفرقة (٣٨) العثمانية بتاليف قوة للدفاع عن البصرة ونتيجه لخسائر القوات العثمانية في معركة السنية ومعركة سيحان ومعركة كوت الزين، قررت الانسحاب من البصرة ليلة (١٩-٢٠ /تشرين الثاني/١٩١٤م) بدون قتال باتجاه القرنة . علم القائد البريطاني بانسحاب القوات العثمانية من البصرة فدخل بقواته وسيطر على المدينة ومرافقها المهمة يوم (٢٢/تشرين الثاني/١٩١٤) وفي اليوم التالي (٢٣/تشرين الثاني/١٩١٤) رفع العلم البريطاني على دار الحكومة ، اي ان القوات البريطانية وصلت البصرة بعد سبعة عشر يوماً من الشروع بالحركات.

افلح الانكليز باحتلال البصرة وطمعوا بالتقدم شمالاً حتى جعلوا من بغداد هدفاً لهم وبهذا فقد حققت الحملة الانكليزية الغرض منها لانها ضمنت لبريطانيا امن منابع النفط ونتيجة الانتصارات السهلة قررت التقدم نحو القرنة وسارت باخرتين باتجاه القرنة واطلقت نيران مدافعها على المواضع العثمانية في القرنة فأثر القصف على معنويات الجنود فانسحب فوج درك نحو العمارة. وقرر (جاويد

بك) القائد العثماني الانسحاب وهكذا سيطر الانكليز على هذا الموقع واصبحوا يتحكمون بملتقى دجلة والفرات بدون مقاومة تذكر.

اشتدت مطامع الانكليز في العراق بعد استسلام حامية القرنة. كلف اللواء طاونزند الذي وصل من الهند يوم (٢٣/نيسان/١٩١٥م) قائداً لفرقة المشاة السادسة بمهمة احتلال العمارة. كان من رأي قائد الفرقة العميد حليم بل الانسحاب الى العمارة إلا ان القائد العام وافق على الانسحاب الى قلعة صالح. علم طاونزند من الطائرة نبأ انسحاب العثمانيين ووصل في مطاردته للقوات التركية الى قلعة صالح وصعد شيخ المنطقة الى الباخرة فأمر طاونزند بان يجمع طعاماً لخمسة عشر الف جندي الذي قال عنهم بانهم سياتون في اعقابه لانه شعر بان الشيخ لن يدخر وقتاً في توصية الاتراك وابلاغهم الخبر وبذلك انطلت الحيلة، وبينما كانت الباخرة تقترب من العمارة شوهد المئات من الجنود الاتراك يتدفقون لعبور جسر مما جعل الباخرة تفتح النيران عليهم بينما كانت باخرة اخرى ترسو عند دائرة الكمارك وعلى الفور صعد حاكم العمارة برفقة آمر الحامية واستسلموا، وهكذا سقطت العمارة بسبب قيادة حليم بك الواهنة.

اتجهت القوات البريطانية نحو الكوت وكانت قوة نور الدين متخندقة على جانبي دجلة عند السن على بضعة اميال جنوب الكوت. بدأت الفرقة السادسة زحفها متبعين خط هاتف بصرة بغداد وعند السن بدأ القتال عنيفاً فاخبرت الطائرات ان القوات العثمانية انسحبت خلسة، لقد هزم نور الدين وصدر الامر لديلامين باحتلال الكوت يوم (٢٩/ايلول/١٩١٥م). عند احتلال الكوت شعر الانكليز بان لديهم جيشاً لايقهر.

فشلت خطة طاونزند الرامية الى تدمير قوة نور الدين لعدة اسباب فدخل طاونزند العزيزية في القت الذي وصلت قوات نور الدين الى المدائن. كانت سهولة الانتصارات التي حققها طاونزند في البصرة والقرنة والعمارة والكوت شجعه على التقدم نحو المدائن كما وصلت رسالة من مجلس الوزراء البريطاني بانه اذا كان بالامكان احتلال بغداد والاحتفاظ بها، فان هناك اسباب سياسية تؤيد ذلك لان بغداد لها اسم تاريخي رنان في العالم كما ان احتلال بغداد يعوضهم عن الانتكاسات التي اصابتهم في معارك الدردنيل.

جعل طاونزند من العزيزية نقطة للزحف نحو بغداد.

شرعت القوات البريطانية بالتقدم وامام تحصينات القوات التركية في المدائن، شرعت الفرقة السادسة بكاملها بالهجوم.

معركة سلمان باك : اندفعت قوات طاونزند نحو سلمان باك وهناك حدثت اعظم معارك الحرب من حيث اهمية نتائجها، فكانت اول معركة وقف الجيش التركي فيها موقف الند للند تجاه الجيش الانكليزي وصارعه فغلبه واخذ يكيل له الضربات القاصمة. يقول طاونزند في مذكراته عن معارك سلمان باك انني رجعت بعد المعركة الدامية التي تشيب لها رؤوس الاطفال وتراجعت ٩٠ ميلا ومقدمة الجيش التركي تجر في اثري. اما القائد التركي فيقول (كان القتال مذبحة رهيبة، حيث اشتبك فيها جنود الفريقين يداً بيد حتى النهاية). واخذت القوات البريطانية يوم (٢٥/كانون الاول) بالانسحاب نحو الكوت مستفيدة من ظلام الليل. وبعد ان تلاحموا للقتال كان هناك سيل من الجرحى وسيل من الجنود البريطانيين والهنود بلا قيادة. كانوا جميعاً منهكي القوى عطشى جياع، وابلغ هوتن طونزند بان الوضع على جناحه الايسر ميؤساً منه. اجاب طاونزند بانه ميؤس منه في كل مكان ومن بين ٨٥٠٠ مقاتل فقد طاونزند اربعة آلاف منهم.

وبغداد التي كانت بالامس حلماً اصبحت وهماً. اصبح على طاونزند العمل على انقاذ ما تبقى من فرقته والتقهقر بهل الى اللج فالزور فالقطنية فالعزيزية واخيراً الكوت. بعد ان ابلغ نور الدين بانسحاب طاونزند بدأ بمطاردة قواته. لقد نفذت فرقته تقهقراً دام ستة ايام. لقد كان واجب طاونزند قيادة قواته الى بر الامان، والامان بالنسبة له يعني الكوت. خرج العميد رومنغتون آمر حامية الكوت لاستقبال طاونزند فعرض عليه رأيه الخاص باحتلال الخنادق التركية القديمة في السن. وفي (٣/كانون الاول/١٩١٥م) وصلت قوات طاونزند الكوت وشرعت بتحصين دفاعاتها مستفيدة من عطفة نهر دجلة لان الكوت محاطة من جوانبها الثلاثة بنهر دجلة، وان نهراً واسعاً من ثلاث جوانب لايقل اهمية في الجانب العسكري عن ثلاثة جدران عالية اما الجزء الرابع من الكوت وهو الجوء المفتوح فقد كان بالامكان تحصينه وقد عرض آمر قوات الكوت عليه رأياً بان يكون توقف قطعاته في موضع السن إلّا

ان طاونزند رفض ذلك وقد اثبتت الايام بُعد نظر هذا القائد وصحة رأيه. وما ان نهض الجنود من النوم حتى طلب منهم ان يقوموا بحفر الخنادق. لقد امر بحفر ٣ خطوط من الخنادق وعشرات من خطوط الالغام والمخابي ومواقع المدفعية وصفوف من الاسلاك الشائكة. كما امر بمد اسلاك البرق من قيادته في المدينة الى مقرات الالوية الاربعة.

طلب طاونزند من قيادته باخلاء المدينة إلّا ان قيادته رفضت ذلك بتوجيه سير (برسي كوكس) حذره من مغبة هذا الاجراء قائلاً : ان النساء والاطفال سيهلكون في الصحراء وان ذلك سيُحدث تاثيراً دعائياً سيئاً. وقد وافق طاونزند على ذلك رغم انه يكره اهل الكوت ويعتبرهم خونه وهو يقول في مذكراته (قد اسفت اشد الاسف لتساهلي لانني لا اهتم قلامة ظفر بمن يقتل او يموت في الصحراء من هؤلاء العرب الخائنين لانهم لم يستحقوا درة من الرحمة والشفقة).

ان عدم اخلاء المدينة لم يكن العطف على النساء والاطفال وانما الحفاظ على سمعة بريطانيا لكي لاتلام على ذلك في طول العالم الاسلامي وعرضه.

الوضع في الكوت :

١- احال طاونزند ١٢ رجلاً من اهالي الكوت لمحكمة الميدان التي اعدمهم فوراً رمياً بالرصاص.

٢- أمر طاونزند باستخدام سكان البلدة في حفر خنادق الجنود وانشاء الطرق.

٣- هدم الانكليز عشرات البيوت لفتح ازقة واسعة تكفي لعبور عربات النقل.

٤- تم الاستيلاء على سوق البلدة وطردوا اصحاب الدكاكين. حيث حولو السوق الى مستشفى وفقل اليه مئات المرضى والجرحى.

٥- قام الجنود الانكليز بالتحري عن الحبوب المتيسرة لدى الاهالي ومصادرتها، وصاروا يفتشون البيوت ويهدمون جدرانها وسقوفها بحثاً عن الحبوب التي يدخرها الاهلون، وهذا التفتيش يجري بشكل مستمر.

٦- عاش اهل الكوت مشقة كبرى في الحصول على الماء لان الاتراك يطلقون النار على كل من يقترب من النهر.

٧- عانى اهل الكوت من شحة الوقود فقد دأب الجنود على انتهاب كل الاخشاب التي وجدوها في البلدة واقتلعوا شبابيك البيوت وابوابها، فكان اصعب الامور على الاهالي اعداد الخبز وطبخ الطعام.

٨- نتيجة القصف الذي كان ينهال على المدينة من كل زاوية، قطعت رؤوس الاشجار والنخيل.

٩- كانت المدافع التركية تقصف المدينة بمعدل يزيد على الف قذيفة مدفع يومياً اضافة لقصف الطائرات فكانت تؤدي الى نسف البيوت وقتل المواطنين.

١٠- يوم المدينة قذائف تتفجر ، طائرات تقصف ، رصاص يأز ، دخان يتصاعد.

مراحل الحصار :تقسم ايام الحصار الة ثلاثة مراحل:

- المرحلة الاولى : التي تبدأ من اليوم الاول للحصار ، وهي ٧/كانون الاول/١٩١٥م . وفيها كانت الارزاق تعطى للجنود كاملة واستمرت هذه المرحلة ٥٠ يوماً، انتهت في ٣٠/كانون الثاني/١٩١٦م .
- المرحلة الثانية : بدأت من ١/شباط/١٩١٦م واستمرت حتى ٩/آذار/١٩١٦م فقد انقصت الارزاق الى النصف.
- المرحلة الثالثة : وهي المرحلة الاخيرة والتي كانت الارزاق فيها تكاد لاتكفي إلّا لسد الرمق، وقد استمرت هذه المرحلة ٥٠ يوماً. شرع الجنود ياكلون الكلاب والقطط حتى نفذت تماما ولم ينجو إلّا كلب طاونزند وكلبي الجنرال مليس.

مستشفيات المدينة اثناء الحصار : عندما نستعرض الوضع في مستشفيات المدينة لم يكن قصدنا معرفة حالة جنود الحملة فهم بين جريح ومريض ولكننا نريد التوصل الى نتيجة مهمة وهي : اذا كان هذا حال جنود الامبراطورية البريطانية فما هي حال اهالي الكوت رعايا الدولة العثمانية. فما يسمى مستشفيات، هي اماكن قذرة وخدمات طبية محزنة، الرجال ممددين وهم يسبحون في برك من الدم والبول والغائط اجسامهم لزجة بالبراز جراحهم مليئة باليرقات ، عظامهم المهشمة مجبرة بخشب صناديق الويسكي وقبضات المعاول. والعمليات كانت تجرى على طاولة خشبية على ضوء الفوانيس النفطية تحت هدير القنابل ليلاً ونهاراً، مايسمى مستشفيات اماكن قذرة وخدمات طبية مخزية.

خفض استحقاق الجنود من الطعام : يعطى رغيف واحد كل يوم ولتر واحد من الماء. انقصت كمية الخبز يوم ١٥/نيسان/١٩١٦م من ٨ الى ٥ اونسات، اي ٣٨ غرام. واصبح الخبز يصنع من ارغفة يزن الواحد منها ١٠ اونسات، فيتقاسم كل اثنين واحداً من تلك الارغفة .. ترى كيف يستطيع القائد ان يقسم هذا الرغيف بحيث يثيب كل فرد ٥ اونسات، لقد توصلت الى: ان يقوم احد الرجلين بقطع الرغيف الى نصفين ثم ياخذ الثاني اي نصف يبدو في نظره اكبر، لذا كان الرجال يمعنون التفكير طويلاً قبل ان يشرعون بقطعه بالدقة والتركيز وكانهم يجرون عملية جراحية على دماغ بشر ، حينئذ يحدق الثاني ويكسب الوقت قبل ان يختار.

السجائر في الحصار : كانت السجائر مصدر قلق آخر ... فالرجال يصبرون بدون طعام وتسلية ولكن ليس بلا دخان ، ولحسن الحظ فان كل ما يحرق يعطي دخاناً وهكذا راح الجنود يدخنون ... اوراق الشاي المستعملة وجذور الحطب ... واوراق اشجار الليمون التي كانوا يسمونها سخرية (فرجينيا معمل الطابوق). وبعد ان يدخنوا هذا النوع الذي يسمى مجازاً سجارة يسعلون كالمسلولين ثم يستسلموا لحياة الياس والضياع والضجر.

كتب جندي في مذكراته :

- اطلق النار على عربي فسقط ولكنه نهض وهو يمسك صدره ثم طلب جندي من العريف ان يأذن له بمحاولة اخرى فاجاب : لا دعه يهرب فتلك كافية له (جرى هذا لمجرد التسلية).

- كتب جندي آخر في مذكراته : ان احد الاعراب جاء الى ضفة النهر لبيع بضاعة فاخترت منها ما احتجت اليه وبانا نساومه بخشونة فقام شوتر و ادوارد بنهب بضاعته وهربا اما انا فدفعته الى اسفل الجرف فتدحرج.

- كتب طاونزند في مذكراته : انه لاياخذ اهالي الكوت النقود الورقية في البيع من الجنود لانهم يعتقدون بفوز الاتراك علينا ولا استطيع ان اجلد ٦ الاف نسمة.

- كتب ضابط في مذكراته ان اهل الكوت يبدو عليهم الهزال والكآبة بشكل مرعب وكانوا يموتون بالمئات.

- غدت الافخاذ نحيفة جداً واصبحت الاصابع بارزة العظام وبدت الاسنان كبيرة وصارت العيون غائرة.

- اصبح النعاس الناشيء عن الجوع الحاد من الامور الواضحة، فكان كل واحد من الحرس في الايام الاخيرة يسقط نائما سواء كان واقفاً او قاعداً وتبلدت الاحاسيس.

- اصبحت الملابس رثة وتسخة بشكل لايمكن وصفه، فلقد كان البعض يقول آه لو استطيع ان اغير قميصي ولكن الجواب الذي يتلقاه هو : ان الشيء الذي تستطيع تغييره هو قملك.

- مطاعم الضباط نفذ منها السكر والملح وظل لحم الخيل يقدم خالٍ من الملح فيترك مذاقه في الفم وكانه مادة معدنية.

- قام عريف بقص شعر احد الجنود بمقص لقص بردعة البغال ... كان الامر مقولا تماما.

- يقول الجنود كان لحم الخيل طيباً في حين كان لحم البغال شديد العصب اما لحم الثيران فكان يحطم الفكوك.

- طالب الضباط تجاوز الرتابة في الطعام الذي يقدم لهم فتقرر اضافة لسان البغل.

- صار الجميع يبحثون عن الحشائش ليطبخوا منه طعاما له شهية ظاهري بالسبانغ فيتحول الى مادة خضراء اللون سوداء ، وقد كانت الحشائش في بعض الاحيان تحتوي على انواع سامة وقد مات الجنرال هوتن من اكلة سبانغ فيها نوع من الحشائش السامة فصدر الامر التالي للحامية (التوقف عن اكل الحشيش)

- راح الرجال يتعقبون ويمسكون كل شيء يتحرك على الارض فياكلونه بعد قليه بزيت المحركات.

- شرقت كل اريكة من كل مقهى واحرقت.

- حين بدات الليالي تبرد اكثر راحت الصلبان الخشبية تسرق من المقبرة لاستعمالها كحطب.

- لم يبق وتد واحد . لقد قلعت كلها واستعملت وقوداً وصدر القرار التالي (من يلق عليه القبض متلبساً بجريمة سرقة وتد سوف ينفذ فيه حكم الاعدام).

- كانت النار الخاصة ممنوعة سال الجندي اذاً كيف ناكله قال العريف اي شيء هو قال الجندي الكلب العجوز الذي ذبحناه قال جندي آخر : جيفة طيبة المذاق.

محاولات فك الحصار: كان ايلمر قائداً للقوة التي افلحت في فك الحصار عن قوة طاونزند عندما كان محاصراً في جترال سنة ١٨٩٥م عندما كان طاونزند نقيباً، واتيحت لآيلمر فرصة جديدة مشابهة ، وصل ايلمر الى العراق وتولى قيادة فيلق دجلة المكلف بانقاذ قوة طاونزند المحاصرة، حشد ايلمر قوته في علي الغربي فقرر العميد نور الدين التصدي لقواته التي تحاول فك الحصار عن الكوت وحدثت المعارك التالية :

١- معركة شيخ سعد
٢- معركة وادي كلال
٣- معركة ام الحنة
٤- معركة سابس ، وقد رفع القائد التركي علي احسان شعاراً (من يحب الله فليذهب الى سابس)
٥- معركة الفلاحية الثالثة
٦- معارك بيت عيسى والصناعيات.

كانت خسائر القوات البريطانية ٢١,٣٠٠ قتيل وجريح.

بعد فشل كل هذه المحاولات جرى القاء بعض المواد الضرورية من الطائرات الخفيفة .

فالقت رحى طاحونة تعويضا عن الرحى التالفة وشباط صيد ورسائل سقطت كلها في نهر دجلة. وجرت محاولة لاعاشة القوة جواً فسقط قسم من الطعام في نهر دجلة وسقط القسم الاخر على القوات التركية.

آخر المحاولات الباخرة جلنار. حاول الانكليز ارسال سفينة محملة بمئات الاطنان من مواد الاعاشة الى الكوت فتقرر ارسال المواد على ظهر الباخرة جلنار وكانت اسرع باخرة للنقل وقد ارتاى الانكليز شحنها وارسالها الى الكوت وقد درعها الانكليز لوقايتها من الرصاص ثم شحنوها بـ ٢٧٠ طناً من المواد الغذائية استطاع الاتراك ان يعلموا بخبرها فلما وصلت الكوت شعر بها حراس الشاطيء واطلقوا عليها النار بكثافة فقتلوا عدداً من نوتيتها وجرحوا اخرين فما لبثت السفينة ان اصطدمت بحبل سلكي كان العثمانيون قد مدوه عبر نهر دجلة فاتجهت منحرفة نحو اتجاه ذلك السلك حتى استقرت على الشاطيء قرب عبارة المقاصيص، عندئذ انهال عليها الجنود فافرغوا القسم الاكبر من الارزاق المحملة فيها فلما علم طاونزند وجنوده بمصير جلنار اصيبوا بخيبة امل كبيرة.

يوم ٢٩/نيسان/١٩١٦م تم الاتصال بالقائد التركي خليل ليسمح لثلاثة من مقر ليل بالمثول امامه. قابل خليل الوفد بعد طول انتظار عرضوا عليه مبلغ الفدية الجديد مليوني باوند ذهب وان :

١- يتعهد بان يحارب افراد حامية الكوت الاتراك طيلة الحرب
٢- تسليم المدافع وتقديمها صالحة للاتراك

جاء رد وزير الدفاع انو باشا بان تسليم حامية الكوت دون قيد او شرط فتقرر استسلام الحامية في ٢٩/نيسان/١٩١٦م

١- سمح طاونزند لجنوده وضباطه بتناول ارزاق الطواريء التب بحوزتهم طول فترة الحصار.
٢- قام ضابط بطمر مسدساتهم وتحطيم سيوفهم.
٣- قام الجنود بتدمير بنادقهم ورشاشاتهم ولم يحتفظوا بسوى بندقية واحدة في كل سرية لحماية انفسهم.
٤- قام الجنود بتمزيق خيامهم وافرشتهم.
٥- القيت في النهر النواظير واسلاك المخابرة.
٦- قام طاونزند بحرق العلم البريطاني لكي لايتعرض للاهانة.
٧- فام جنود الحامية باتلاف ٤٣ مدفع.
٨- اتلف الضباط الاوراق الرسمية والخرائط واوراق الجفرة.
٩- كان اخر ما دمر جهاز اللاسلكي بعد ان بث رسالة طاونزند الوداعية الى قيادة البصرة قال فيها :

لقد رفعت الراية البيضاء فوق الكوت ، " لسوف احطم جهازنا اللاسلكي انه ليسرنا بان يعرف باننا قد قمنا بواجبنا والتاكيد بان حالتنا هي واحدة من خطوط الحرب " . حطم الجهاز ... انقطع الاتصال ... بدأ الاستسلام.

عندما قدم اللواء طاونزند سيفه ومسدسه للقائد العثماني خليل باشا اعادهما الاخير اليه من باب المجاملة لاسيره. في آخر الامر طلب طاونزند من خليل باشا ان يبعث بكلبه سيوت الى البصرة وامن خليل باشا بوقار على ذلك الطلب لان الاسر للرجال وليس للكلاب.

هكذا انقذ طاونزند كلبه وضيع جنده.

الاستسلام : بعد الظهر بقليل ارتفعت الاعلام البيضاء على خطوط الانكليز في الكوت ... فدخل فوج تركي البلدة يقوده عقيد ، هو نظمي بك ، كان يمتطي صهوة جواده والجند يسيرون خلفه على نغمات الطبول، ما ان رفع العلم العثماني حتى تم الاستيلاء بسرعة فائقة على المخازن والبيوت ومقر طاونزند وخرج رجال الفرقة السادسة البريطانية المحاصرة من خنادقهم ولاول مرة خلال مئة وثلاثة واربعين يوماً يقفون منتصبين وراحت جماعات من الرجال تتجول دون هدف وهي تقصدان تستمتع بالهواء الطلق واشعة الشمس والامن ولم يعر ما يشوه جمال هذا الصباح سوى رائحة جثث القتلى. وعلى الرغم من المصيبة التي حلت بهذه المدينة خلال مدة حصارها فان الاتراك سرعان ما بدات حملات الاعدام يوم ٣٠/نيسان/١٩١٦م . وكانت تجري على شكل وجبات بدات الوجبة الاولى:

١- الحاج عباس العلي وولديه سعد وعلي
٢- محمد نجيب ابو شويلة زوج ابنه الحاج عباس
٣- ناموس جاسم مهدي
٤- ياسين الجعيفري
٥- خماس جبارة الطائي
٦- حسوني رطيبة الملطاشي
٧- عباس ظاهر جميعي الجميلي وكان مختارا اعدم لوحده وقت الضحى
٨- علي عبود سليمان السيفاوي
٩- داود عبود سليمان السيفاوي
١٠- عبد الرزاق الصحاف
١١- كاظم عيسى موسى

وصل مجموع من اعدام ٢٥٠ شخصاً

خسائر حامية الكوت خلال فترة الحصار :

١٥٠٤ قتيل ومتوفي

١٨٣٦ جريح ومريض

٤٨ مفقود وهارب الى صفوف الخصم

- عدد الاسرى الذين استسلموا في الكوت

٢٩٧٠ انكليزي

١٠٤٠٠ هندي

١٣٣٧٠ المجموع

فقدت قوات الانقاذ نتيجة للهجمات المتعاقبة ٢١,٣٧٥ مقاتلاً

الجنرال سير ستانلي مود: عينت القيادة الانكليزية سير ستانلي مود قائداً للحملة على العراق في ٢٨/آب/١٩١٦م وقد رات وزارة الحرب البريطانية اعادة النظر في واجبات الحملة بعد استسلام حامية الكوت فجعلتها محصورة بالمهمات التالية :

١- تقوية النفوذ البريطاني في البصرة
٢- حماية آبار النفط
٣- تقليل تاثير سقوط الكوت

المصادر

١- طاونزند . تشارلي : محاربتي في العراق . ترجمة عبد المسيح وزير.
٢- الحسني . عبد الرزاق : العراق قديما وحديثا.
٣- الورد . حامد : السوقية البريطانية في العراق.
٤- هيكل محمد حسنين : حرب الخليج.
٥- برادون . رسل : حصار الكوت.
٦- لونكريك .س . هـ : اربعة قرون منتاريخ العراق الحديث . ترجمة جعفر خياط.
٧- البكري . عادل : تاريخ الكوت.
٨- الصوري . محمد علي : الاقطاع في لواء الكوت.
٩- العزاوي . عباس : تاريخ العراق بين احتلالين.
١٠- سركيس . يعقوب : مباحث عراقية.
١١- الحلواني . امين : مطالع السعود.
١٢- الصديقي . مصطفى : كشف الصدى وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان.
١٣- سفر . فؤاد : واسط.
١٤- ابن حوقل . محمد بن علي : صورة الارض
١٥- ابن قنينو . محمد بن علي : خلاصة الذهب المسبوك.
١٦- بحشل . اسلم بن سهل الرزاز : تاريخ واسط.